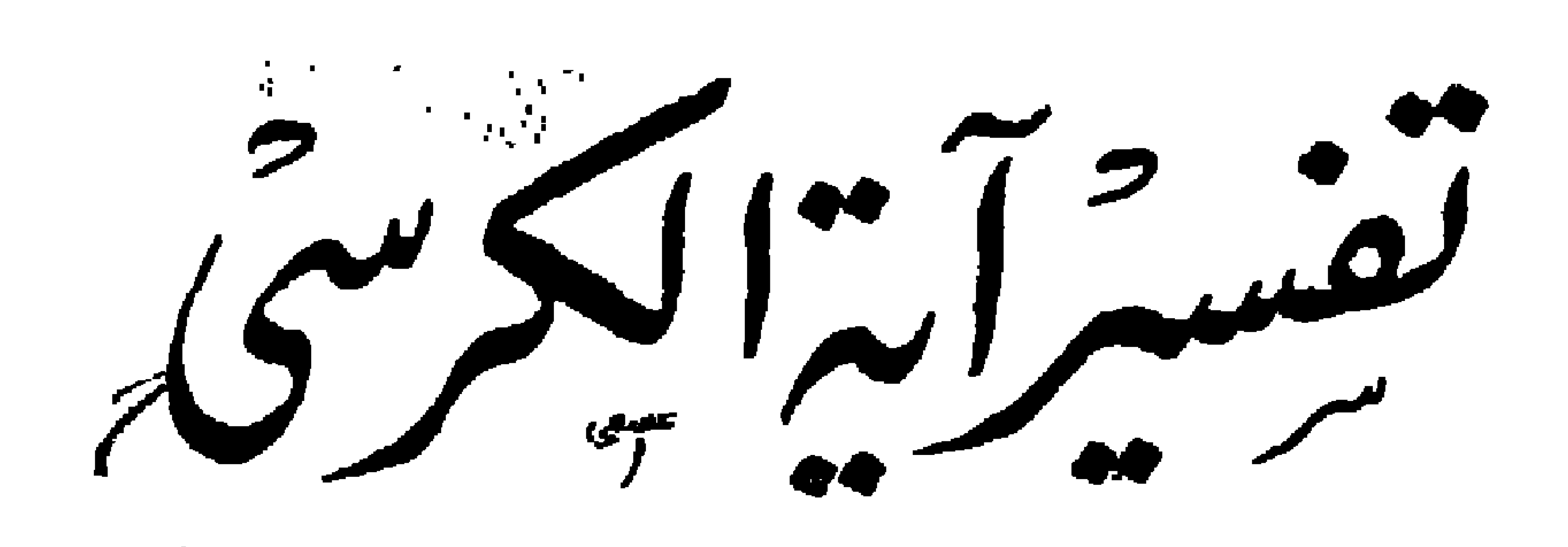


محمود شلبي

تفسير آية الكرسي

دار المعرفة



أعظم آية في القرآن

اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحيّ القيّوم

«حديث شريف»

للأئمة الكبار

الفخر الرازي

ابن كثير

الألوسي

تحقيق ...

محمود شلبي

دار المعرفة

للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

الإهداء

ربنا ... تقبل منا ... إنك سميع الدعاء ...

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم . . .

وأصلى وأسلم على رسولك الكريم . . .

وبعد . . .

فهذه آية واحدة ... من كتاب الله المكنون ...

آية الكرسى ... أقدمها إلى العالم أجمع ...

تسعى إلى القلوب ... كما تسعى نسمات الفجر ... رحمةً ونوراً ...

أقدمها . . . برهانا . . . على عظمة القرآن . . . وعلو القرآن . . . وإعجاز القرآن ... وعجائب القرآن ...

أقدمها ... ليعلم الذين أوتوا العلم ... كم فى كتاب الله من عجب ! !

وليعلم . . . الذين أوتوا الجهل . . . أنه لا علم أعلى من القرآن . . . ولا نور إلا من القرآن ...

وقد آثرت أن أقدم إلى أبناء اليوم . . . تفسيرها . . . بقلم أئمة التفسير الكبار ...

ليكون ذلك أشد أنساً للفؤاد ...

فإن لهؤلاء العباقرة الأعلام . . . من الإجلال . . . عند الجميع . . . ما ليس للمعاصرين ... مهما أوتوا من علم أو فتوح ...

واخترت من بين أئمة التفسير ... ثلاثة من الخالدين ...

الفخر الرازى ... باعتباره إمام مدرسة العقل ... والفلسفة ...

ابن كثير ... باعتباره إمام مدرسة النقل ... والمأثور من الأحاديث ...

الألوسى . . . باعتباره من أكبر أساتذة التفسير فى القرنين الأخيرين ... فهو أقرب العقول إلى مفاهيم زماننا ...

ومن هؤلاء الثلاثة الكبار ... يتكامل تفسير الآية الكبرى ... آية الكرسى .

أما الفخر الرازى . . . فيقدم إلينا عجائب المنطق والفلسفة . . . من الآية .

وأما ابن كثير . . . فيقدم إلينا إشعاعات أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الواردة فى الآية .

وأما الألوسى ... فيقدم إلينا عبقرية ... العقول .. حين تتلاقى ... مع أنوار القلوب .

وها هى الآية ... تسعى بين يديك ... وتتلألأ أمام عينيك .

محمود شلبى

أعظم آية فى القرآن ؟!

أخرج مسلم ، وأحمد ، وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إن أعظم آية فى القرآن آية الكرسى »

نص الآية العظمى

قال تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

[آية ٢٥٥ من سورة البقرة]

ماذا قال الإمام الفخر الرازي؟

من هو فخر الدين الرازى؟

هو الإمام المتصدر ، العلامة فخر الدين الرازى . . . صاحب التصانيف المشهورة .

وحسبه فضلا وعلو منزلة أن علماء الأصول إذا نقلوا عنه قالوا : وقال الإمام ، أو : وعند الإمام .

وإذا قالوا : قال الإمام ، بدون ذكر اسم بعده ، لم يريدوا غيره ، فى كل عباراتهم وكتبهم .

ولد فى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعين وخمسمائة هجرية .

وكان الفخر من أفضل علماء عصره فى الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية .

ومن أبرع أهل زمانه فى الطب والحكمة شاع فضله فى كل ذلك وذاع ، وملأ البقاع والأسماع .

فأمّه الطلاب من كل بلد وصقع ، يتلقون العلم عنه ويغترفون من علومه ومعارفه .

وكان صحيح النظر ، بليغ القول ، جيد التعبير عن كل ما يقصد إلى بيانه . ترى هذا واضحاً فى عباراته فى التفسير ، وغيره من مؤلفاته العديدة .

وإليك ما قاله ذلك الإمام الجليل فى تفسير آية الكرسى ...

اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى فى هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بالبعض ، أعنى علم التوحيد ، وعلم الأحكام ، وعلم القصص .

والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد ، وإما المبالغة فى إلزام الأحكام والتكاليف .

وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لا إبقاء الإنسان فى النوع الواحد ، لأنه يوجب الملال .

فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب .

فكأنه سافر من بلد إلى بلد آخر ، وانتقل من بستان إلى بستان آخر ، وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول نوع آخر .

ولا شك أنه يكون ألذ وأشهى .

ولما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد .

فقال (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفى الآية مسائل :

(المسألة الأولى)

فى فضائل هذه الآية :

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما قرئت هذه الآية فى دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة » .

وعن علىّ أنه قال : سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول « من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات التى حوله » .

وتذاكر الصحابة أفضل ما فى القرآن ، فقال لهم علىّ : أين أنتم من آية الكرسى ، ثم قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعلى ، سيد البشر آدم ، وسيد العرب محمد ولا فخر ، وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسى » .

وعن على أنه قال : لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ماذا يصنع ، قال : فجئت وهو ساجد يقول : ياحى ياقيوم ، لا يزيد على ذلك ، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك ، فلا أزال أذهب وأرجع وأنظر إليه ، وكان لا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله له .

واعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم فكلما كان المذكور والمعلوم أشرف كان الذكر والعلم أشرف .

وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله سبحانه بل هو متعال عن أن يقال : إنه أشرف من غيره .

لأن ذلك يقتضى نوع مجانسة ومشاكلة ، وهو مقدس عن مجانسة ما سواه .

فلهذا السبب كل كلام اشتمل على نعوت جلاله وصفات كبريائه ، كان ذلك الكلام فى نهاية الجلال والشرف .

ولما كانت هذه الآية كذلك لا جرم كانت هذه الآية بالغة فى الشرف إلى أقصى الغايات وأبلغ النهايات .

(المسألة الثانية)

اعلم أن تفسير لفظة (الله) قد تقدم فى أول الكتاب[1] ، وتفسير قوله (لا إله إلا هو) قد تقدم فى قوله « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو » .

بقى ها هنا أن نتكلم فى تفسير قوله (الحى القيوم) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يقول : أعظم أسماء الله (الحى القيوم) .

وما روينا أنه صلوات الله وسلامه عليه ما كان يزيد على ذكره فى السجود يوم بدر ، يدل على عظمة هذا الاسم ، والبراهين العقلية القطعية دالة على صحته ، وتقريره ومن الله التوفيق :

إنه لا شك فى وجود الموجودات فهى إما أن تكون بأسرها ممكنة ، وإما أن تكون بأسرها واجبة ، وإما أن تكون بعضها ممكنة وبعضها واجبة ، لا جائز أن تكون بأسرها ممكنة .

---

(١) يعنى تفسيره الجامع .

لأن كل مجموع فهو مفتقر إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزاء هذا المجموع ممكن ، والمفتقر إلى الممكن أولى بالإمكان .

فهذا المجموع ممكن بذاته ، وكل واحد من أجزائه ممكن ، وكل ممكن فإنه لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح مغاير له ، فهذا المجموع مفتقر بحسب كونه مجموعاً وبحسب كل واحد من أجزائه إلى مرجح مغاير له ، وكل ما كان مغايراً لكل الممكنات لم يكن ممكناً ، فقد وجد موجود ليس بممكن ، فبطل القول بأن كل موجود ممكن .

وأما القسم الثانى :

وهو أن يقال : الموجودات بأسرها واجبة فهذا أيضاً باطل .

لأنه لو حصل موجودان كل واحد منهما واجب لذاته لكانا مشتركين فى الوجوب بالذات ومتغايرين بالنفى .

وما به المشاركة مغاير لما به المايزة ، فيكون كل واحد منهما مركباً من الوجوب الذى به المشاركة ، أو من الغير الذى به المايزة ، وكل مركب فهو مفتقر إلى كل واحد من جزئه وجزء غيره ، وكل مركب فهو مفتقر إلى غيره ، وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن لذاته .

فلو كان واجب الوجود أكثر من واحد لما كان شىء منها واجب الوجود وذلك محال .

ولما بطل هذان القسمان ثبت أنه حصل فى مجموع الموجودات موجود واحد واجب الوجود لذاته .

وأن كل ما عداه فهو ممكن لذاته ، موجود بإيجاد ذلك الموجود الذى هو واجب الوجود لذاته .

ولما بطل هذان فالواجب لذاته موجود لذاته وبذاته .

ومستغن فى وجوده عن كل ما سواه .

وأما كل ما سواه فمفتقر فى وجوده وماهيته إلى إيجاد الواجب لذاته .

فالواجب لذاته قائم بذاته ، وسبب لتقوم كل ما سواه فى ماهيته وفى وجوده ،

فهو القيوم الحى بالنسبة إلى كل الموجودات .

فالقيوم هو المتقوم بذاته ، المقوم لكل ما عداه فى ماهيته ووجوده .

ولما كان واجب الوجود لذاته كان هو القيوم الحق بالنسبة إلى الكل .

ثم إنه لما كان المؤثر فى الغير إما أن يكون مؤثراً على سبيل العلية والإيجاب وإما أن يكون مؤثراً على سبيل التفعل والاختيار ، لا جرم أزال وهم كونه مؤثراً بالعلية والإيجاب بقوله (الحى القيوم) .

فإن « الحى » هو الدراك الفعال ، فبقوله « الحى » دل على كونه عالماً قادراً .

وبقوله « القيوم » دل على كونه قائماً بذاته ومقوماً لكل ما عداه .

ومن هذين الأصلين تتشعب جميع المسائل المعتبرة فى علم التوحيد .

(فأولها)

أن واجب الوجود واحد بمعنى أن ماهيته غير مركبة من الأجزاء .

وبرهانه أن كل مركب فإنه مفتقر فى تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره .

وكل مركب فهو متقوم بغيره .

والمتقوم بغيره لا يكون متقوماً بذاته ، فلا يكون قيوماً ، وقد بينا بالبرهان أنه قيوم وإذا ثبت أنه تعالى فى ذاته واحد ، فهذا الأصل له لازمان :

أحدهما : أن واجب الوجود واحد بمعنى أنه ليس فى الوجود شيئان كل واحد منهما واجب لذاته .

إذ لو فرض ذلك لاشتركا فى الوجوب وتباينا فى التعين .

وما به المشاركة غير ما به المباينة ، فيلزم كون كل واحد منهما فى ذاته مركباً من جزأين ، وقد بان أنه محال .

اللازم الثانى :

أنه لما امتنع فى حقيقته أن تكون مركبة من جزأين امتنع كونه متحيزاً ، لأن كل متحيز فهو منقسم ، وقد ثبت أن التركيب عليه ممتنع .

وإذا ثبت أنه ليس بمتحيز امتنع كونه فى الجهة .

لأنه لا معنى للمتحيز إلا ما يمكن أن يشار إليه إشارة حسية .

وإذا ثبت أنه ليس بمتحيز وليس فى الجهة امتنع أن يكون له أعضاء وحركة وسكون .

(وثانيها) أنه لما كان قيوماً كان قائماً بذاته . وكونه قائماً بذاته يستلزم أمور .

(اللازم الأول) :

أن لا يكون عرضاً فى موضوع ، ولا صورة فى مادة ، ولا حالاً فى محل أصلا ، لأن الحال مفتقر إلى المحل ، والمفتقر إلى الغير لا يكون قيوماً بذاته .

(واللازم الثانى) :

قال بعض العلماء لا معنى للعلم إلا حضور حقيقة المعلوم للعالم .
فإذا كان قيوماً بمعنى كونه قائماً بنفسه لا بغيره كانت حقيقته حاضرة عند ذاته .

وإذا كان لا معنى للعلم إلا هذا الحضور وجب أن تكون حقيقته معلومة لذاته .

فإذن ذاته معلومة لذاته .

وكل ما عداه فإنه إنما يحصل بتأثيره .

ولأننا بينا أنه قيوم بمعنى كونه مقوماً لغيره .

وذلك التأثير إن كان بالاختيار فالفاعل المختار لا بد وأن يكون له شعور بفعله .

وإن كان بالإيجاب لزم أيضاً كونه عالماً بكل ما سواه .

لأن ذاته موجبة لكل ما سواه .

وقد دللنا على أنه يلزم من كونه قائماً بالنفس لذاته كونه عالماً بذاته .

والعلم بالعلة علة للعلم بالمعلول .

فعلى التقديرات كلها يلزم من كونه قيوماً كونه عالماً بجميع المعلومات .

(وثالثها) :

لما كان قيوماً لكل ما سواه ، كان كل ما سواه محدثاً لأن تأثيره في تقويم ذلك الغير يمتنع أن يكون حال بقاء ذلك الغير لأن تحصيل الحاصل محال ، فهو إما حال عدمه ، وإما حال حدوثه ، وعلى التقديرين وجب أن يكون الكل محدثاً .

(ورابعها) :

أنه لما كان قيوماً لكل الممكنات استندت كل الممكنات إليه إما بواسطة أو بغير واسطة .

وعلى التقديرين كان القول بالقضاء والقدر حقاً .

وهذا مما قد فصلناه وأوضحناه في هذا الكتاب في آيات كثيرة[1] .

فأنت إن ساعدك التوفيق وتأملت في هذه المعاقد التي ذكرناها علمت أنه لا سبيل إلى الإحاطة بشيء من المسائل المتعلقة بالعلم الإلهي ، إلا بواسطة كونه تعالى حياً قيوماً .

---

(١) يعني تفسيره الجامع .

فلا جرم لا يبعد أن يكون الاسم الأعظم هو هذا .

وأما سائر الآيات الإلهية ، كقوله (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو) وقوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو) ففيه بيان التوحيد بمعنى نفي الضد والند .

وأما قوله (قل هو الله أحد) ففيه بيان التوحيد بمعنى نفي الضد والند .

وبمعنى أن حقيقته غير مركبة من الأجزاء .

وأما قوله (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض) ففيه بيان صفة الربوبية .

وليس فيه بيان وحدة الحقيقة .

أما قوله (الحي القيوم) فإنه يدل على الكل .

لأن كونه قيوماً يقتضي أن يكون قائماً بذاته .

وأن يكون مقوماً لغيره .

وكونه قائماً بذاته يقتضي الوحدة ، بمعنى نفي الكثرة في حقيقته .

وذلك يقتضي الوحدة بمعنى نفي الضد والند .

ويقتضي نفي التحيز ، وبواسطته يقتضي نفي الجهة .

وأيضاً كونه قيوماً ، بمعنى كونه مقوماً لغيره يقتضي حدوث كل ما سواه ، جسماً كان أو روحاً ، عقلاً كان أو نفساً .

ويقتضي استناد الكل إليه ، وانتهاء جملة الأسباب والمسببات إليه ..

وذلك يوجب القول بالقضاء والقدر .

فظهر أن هذين اللفظين كالمحيطين بجميع مباحث العلم الإلهي .

فلا جرم بلغت هذه الآية فى الشرف إلى المقصد الأقصى .

واستوجب أن يكون هو الاسم الأعظم من أسماء الله تعالى .

ثم أنه تعالى لما بين أنه حى قيوم ، أكد ذلك بقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) .

والمعنى : أنه لا يغفل عن تدبير الخلق .

لأن القيم بأمر الطفل لو غفل عنه ساعة لاختل أمر الطفل .

فهو سبحانه قيم جميع المحدثات ، وقيوم الممكنات ، فلا يمكن أن يغفل عن تدبيرهم .

فقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) كالتأكيد لبيان كونه تعالى قائماً .

وهو كما يقال لمن ضيع وأهمل : إنك لوسنان نائم .

ثم أنه تعالى لما بين كونه قيوماً بمعنى كونه قائماً بذاته ، مقوماً لغيره ، رتب عليه حكما ؛ وهو قوله (له ما فى السماوات وما فى الأرض) .

لأنه لما كان كل ما سواه إنما تقومت ماهيته ، وإنما يحصل وجوده بتقويمه وتكوينه وتخليقه .

لزم أن يكون كل ما سواه ملكا له وملكا له .

وهو المراد من قوله (له ما فى السماوات وما فى الأرض) .

ثم لما ثبت أنه هو الملك والمالك لكل ما سواه ، ثبت أن حكمه فى الكل جار وليس لغيره فى شىء من الأشياء حكم إلا بإذنه وأمره .

وهو المراد بقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) .

ثم لما بين أنه يلزم من كونه مالكا للكل ، أن لا يكون لغيره فى ملكه تصرف بوجه من الوجوه ، بين أيضاً أنه يلزم من كونه عالماً بالكل وكون غيره غير عالم بالكل ، أن لا يكون لغيره فى ملكه تصرف بوجه من الوجوه إلا بإذنه .

وهو قوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

وهو إشارة إلى كونه سبحانه عالماً بالكل .

ثم قال (ولا يحيطون بشىء من علمه) .

وهو إشارة إلى كون غيره غير عالم بجميع المعلومات .

ثم إنه لما بين كمال ملكه وحكمه فى السماوات وفى الأرض ، بين أن ملكه فيما وراء السماوات والأرض أعظم وأجل .

وأن ذلك مما لا تصل إليه أوهام المتوهمين .

وينقطع دون الارتقاء إلى أدنى درجة من درجاتها خيالات المتخيلين .

فقال (وسع كرسيه السماوات والأرض) .

ثم بين أن نفاذ حكمه وملكه فى الكل على نعت واحد ، وصورة واحدة .

فقال (ولا يؤده حفظهما) .

ثم لما بين كونه قيوماً بمعنى كونه مقوماً للمحدثات والممكنات والمخلوقات ، بين كونه قيوماً بمعنى قائماً بنفسه وذاته ، منزهاً عن الاحتياج إلى غيره فى أمر من الأمور .

فتعالى عن أن يكون متحيزاً حتى يحتاج إلى مكان .

أو متغيراً حتى يحتاج إلى زمان .

فقال (وهو العلى العظيم) .

فالمراد منه العلو والعظمة ، بمعنى أنه لا يحتاج إلى غيره فى أمر من الأمور .

ولا يناسب غيره فى صفة من الصفات ولا فى نعت من النعوت .

فقوله (وهو العلى العظيم) إشارة إلى ما بدأ به فى الآية من كونه قيوماً بمعنى كونه قائماً بذاته مقوماً لغيره .

ومن أحاط عقله بما ذكرناه علم أنه ليس عند العقول البشرية من الأمور الإلهية كلام أكمل ، ولا برهان أوضح مما اشتملت عليه هذه الآيات .

وإذا عرفت هذه الأسرار ، فلنرجع إلى ظاهر التفسير .

أما قوله (الله لا إله إلا هو) ففيه مسألتان :

(المسألة الأولى)

« الله » رفع بالابتداء ، وما بعده خبره .

(المسألة الثانية)

قال بعضهم : الإله هو المعبود .

وهو خطأ لوجهين .

الأول : أنه تعالى كان إلهاً فى الأزل ، وما كان معبوداً .

والثانى : أنه تعالى أثبت معبوداً سواه فى القرآن بقوله (انكم وما تعبدون من دون الله) .

بل الإله هو القادر على ما إذا فعله كان مستحقاً للعبادة .

أما قوله (الحى) ففيه مسائل :

(المسألة الأولى)

الحى أصله حيي ، كقولهم : حـذر وطمع ، فأدغمت الياء فى الياء عند اجتماعهما .

وقال ابن الأنبارى : أصله الحيو ، فلما اجتمعت الياء والواو ، ثم كان السابق سا كناً فجعلتا ياء مشددة .

(المسألة الثانية)

قال المتكلمون الحى كل ذات يصح أن يعلم ويقدر .

واختلفوا فى أن هذا المفهوم صفة موجودة أم لا ؟

فقال بعضهم : إنه عبارة عن كون الشىء بحيث لا يمتنع أنه يعلم ويقدر .

وعدم الامتناع لا يكون صفة موجودة .

وقال المحققون : ولما كانت الحياة عبارة عن عدم الامتناع ، وقد ثبت أن الامتناع أمر عدمى ، إذ لو كان وصفاً موجوداً لـكان الموصوف به موجوداً ، فيكون ممتنع الوجود موجوداً وهو محال .

وإذا ثبت أن الامتناع عدم ، وثبت أن الحياة عدم هذا الامتناع ، وثبت أن عدم العدم وجود ، لزم أن يكون المفهوم من الحياة صفة موجودة وهو المطلوب .

(المسألة الثالثة)

لقائل أن يقول :

لما كان معنى الحى هو أنه الذى يصح أن يعلم ويقدر ، وهذا القدر حاصل لجميع الحيوانات فكيف يحسن أن يمدح الله نفسه بصفة يشاركه فيها أخس الحيوانات ؟

والذى عندى فى هذا الباب أن الحى فى أصل اللغة ليس عبارة عن هذه الصحة .

بل كل شىء كان كاملا فى جنسه فإنه يسمى حياً .

ألا ترى أن عمارة الأرض الخربة تسمى : إحياء الموات ، وقال تعالى (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها) وقال (إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض) .

والصفة المسماة فى عرف المتكلمين ، إنما سميت بالحياة لأن كمال الجسم

أن يكون موصوفاً بتلك الصفة .

فلا جرم سميت تلك الصفة حياة .

وكمال حال الأشجار أن تكون مورقة خضرة ، فلا جرم سميت هذه الحالة حياة .

وكمال الأرض أن تكون معمورة ، فلا جرم سميت هذه الحالة حياة .

فثبت أن المفهوم الأصلى من لفظ الحى كونه واقعاً على أكمل أحواله وصفاته .

وإذا كان كذلك فقد زال الإشكال .

لأن المفهوم من الحى هو الكامل .

ولما لم يكن ذلك مقيداً بأنه كامل فى هذا دون ذاك دل على أنه كامل على الإطلاق .

فقوله « الحى » يفيد كونه كاملا على الإطلاق .

والكامل هو أن لا يكون قابلا للعدم ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته الحقيقية ، ولا فى صفاته النسبية والإضافية .

ثم عند هذا ان خصصنا القيوم بكونه سبباً لتقويم غيره فقد زال الإشكال .

لأن كونه سبباً لتقويم غيره يدل على كونه متقوماً بذاته .

وكونه قيوماً يدل على كونه مقوماً لغيره .

وان جعلنا القيوم ، اسما يدل على كونه يتناول المتقوم بذاته ، والمقوم لغيره كان لفظ القيوم مفيداً فائدة لفظ الحى مع زيادة .

فهذا ما عندى فى هذا الباب والله أعلم .

أما قوله تعالى (القيوم) ففيه مسائل :

(المسألة الأولى)

القيوم فى اللغة مبالغة فى القائم ...

(المسألة الثانية)

اختلفت عبارات المفسرين فى هذا الباب .

فقال مجاهد :

القيوم : القائم على كل شىء .

وتأويله أنه قائم بتدبير أمر الخلق فى إيجادهم ، وفى أرزاقهم .

ونظيره من الآيات قوله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)

وقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو) إلى قوله (قائما بالقسط)

وقال (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) .

وهذا القول يرجع حاصله إلى كونه مقوماً لغيره .

وقال الضحاك :

القيوم : الدائم الوجود ، الذى يمتنع عليه التغير

وأقول :

هذا القول يرجع معناه ، إلى كونه قائماً بنفسه ، فى ذاته وفى وجوده .

أما قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) ففيه مسائل :

(المسألة الأولى)

« السِـنة » ما يتقدم من الفتور الذى يسمى النعاس .

فإن قيل: إذا كانت السنة عبارة عن مقدمة النوم ، فإذا قال (لا تأخذه سنة) فقد دل ذلك على أنه لايأخذه نوم بطريق الأولى ، وكان ذكر النوم تكريراً ؟

قلنا :

تقدير الآية : لاتأخذه سنة فضلاً عن أن يأخذه النوم .

(المسألة الثانية)

الدليل العقلى دل على أن النوم والسهو والغفلة محالات على الله تعالى .

لأن هذه الأشياء إما أن تكون عبارات عن عدم العلم ، أو عن

أضداد العلم ، وعلى التقديرين فجواز طريانها يقتضى جواز زوال علم الله تعالى

فلو كان كذلك لكانت ذاته تعالى بحيث يصح أن يكون عالماً ، ويصح أن لا يكون عالماً .

فحينئذ يفتقر حصول صفة العلم له إلى الفاعل .

والكلام فيه كما فى الأول والتسلسل محال .

فلا بد وأن ينتهى إلى من يكون علمه صفة واجبة الثبوت ، ممتنعة الزوال .

وإذا كان كذلك كان النوم والغفلة والسهو عليه محالا .

أما قوله تعالى (له مافى السماوات وما فى الأرض) .

فالمراد من هذه الإضافة إضافة الخلق والملك .

وتقديره ماذكرنا من أنه لما كان واجب الوجود واحداً ، كان ما عداه ممكن الوجود لذاته ، وكل ممكن فله مؤثر ، وكل ماله مؤثر فهو محدث ، فإذن كل ما سواه فهو محدث بإحداثه ، مبدع بإبداعه ، فكانت هذه الإضافة إضافة الملك والإيجاد .

فإن قيل :

لم قال (له مافى السماوات) ولم يقل : له من فى السماوات ؟

قلنا :

لما كان المراد إضافة ماسواه إليه بالمخلوقية ، وكان الغالب عليه مالا يعقل ، أجرى الغالب مجرى الكل ، فعبر عنه بلفظ « ما » .

وأيضاً فهذه الأشياء إنما أسندت إليه من حيث أنها مخلوقة ، وهى من حيث أنها مخلوقة غير عاقلة ، فعبر عنها بلفظ « ما » للتنبيه على أن المراد من هذه الإضافة إليه الإضافة من هذه الجهة .

واعلم أن الأصحاب قد احتجوا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى .

قالوا : لأن قوله (له مافى السماوات وما فى الأرض) يتناول كل مافى السماوات والأرض ، وأفعال العباد من جملة ما فى السماوات والأرض فوجب أن تكون منتسبة إلى الله تعالى انتساب الملك والخلق ، وكما أن اللفظ يدل على هذا المعنى فالعقل يؤكده ، وذلك لأن كل ماسواه فهو ممكن لذاته ، والممكن لذاته لايترجح إلا بتأثير واجب الوجود لذاته ، وإلا لزم ترجح الممكن من غير مرجح وهو محال .

أما قوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) ففيه مسألتان :

(المسألة الأولى)

قوله (من ذا الذى) استفهام معناه الإنكار والنفى .

أى : لايشفع عنده أحد إلا بأمره .

وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم .

وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم يقولون : مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

ثم بين تعالى أنهم لايجدون هذا المطلوب فقال (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) .

فأخبر الله تعالى أنه لاشفاعة عنده لأحد إلا من استثناه الله تعالى بقوله (إلا بإذنه) .

ونظيره قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون لا من أذن له الرحمن وقال صوابا) .

(المسالة الثانية)

قال القفال :

إنه تعالى لايأذن فى الشفاعة لغير المطيعين ، إذ كان لايجوز فى حكمته التسوية بين أهل الطاعة وأهل المعصية ، وطول فى تقريره .

وأقول :

إن هذا القفال عظيم الرغبة فى الاعتزال ، حسن الاعتقاد فى كلماتهم ومع ذلك فقد كان قليل الإحاطة بأصولهم .

وذلك لأن من مذهب البصريين منهم أن العفو عن صاحب الكبيرة حسن فى العقول .

إلا أن السمع دل على أن ذلك لا يقع .

وإذا كان كذلك كان الاستدلال العقلى على المنع من الشفاعة فى حق العصاة خطأ على قولهم .

بل على مذهب الكعبى أن العفو عن المعاصى قبيح عقلا .

فإن كان القفال على مذهب الكعبى فحينئذ يستقيم هذا الاستدلال إلا أن الجواب عنه يرد ذلك من وجوه :

الأول : أن العقاب حق الله تعالى وللمستحق أن يسقط حق نفسه ، بخلاف الثواب فإنه حق العبد فلا يكون لله تعالى أن يسقطه .

وهذا الفرق ذكره البصريون فى الجواب عن شبهة الكعبى .

والثانى : أن قوله : لا يجوز التسوية بين المطيع والعاصى إن أراد به أنه لا يجوز التسوية بينهما فى أمر من الأمور فهو جهل لأنه تعالى قد سوى بينهما فى الخلق والحياة والرزق وإطعام الطيبات والتمكين من المرادات .

وإن كان المراد أنه لا يجوز التسوية بينهما فى كل الأمور ، فنحن نقول بموجبه .

فكيف لا يقول ذلك والمطيع لا يكون له جزع ، ولا يكون خائفاً من العقاب ، والمذنب يكون فى غاية الخوف ، وربما يدخل النار ويتألم مدة ثم يخلصه الله تعالى عن ذلك العذاب بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

وأعلم أن القفال رحمه الله كان حسن الكلام فى التفسير ، دقيق النظر فى تأويلات الألفاظ ، الا أنه كان عظيم المبالغة فى تقدير مذهب المعتزلة ، مع أنه كان قليل الحظ من علم الكلام ، قليل النصيب من معرفة كلام المعتزلة .

أما قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

ففيه مسألتان :

(المسألة الأولى)

قال صاحب الكشاف : الضمير لما فى السماوات والأرض ، لأن فيهم العقلاء ، أو لما دل عليه « من ذا » من الملائكة والأنبياء .

(المسألة الثانية)

فى الآية وجوه :

أحدها : قال مجاهد وعطاء والسدى (ما بين أيديهم) ما كان قبلهم من أمور الدنيا (وما خلفهم) ما يكون بعدهم من أمر الآخرة .

والثانى : قال الضحاك والكلبى (يعلم ما بين أيديهم) يعنى الآخرة لأنهم يقدمون عليها (وما خلفهم) الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم .

والثالث : قال عطاء عن ابن عباس (يعلم ما بين أيديهم) من السماء إلى الأرض (وما خلفهم) يريد ما فى السماوات .

والرابع : (يعلم ما بين أيديهم) بعد انقضاء آجالهم (وما خلفهم) أى ما كان من قبل أن يخلقهم .

والخامس : ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك

واعلم أن المقصود من هـذا الـكلام أنه سبحانه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فما يتعلق باستحقاق العقاب والثواب .

لأنه عالم بجميع المعلومات ، لايخفى عليه خافية،والشافعون لايعلمون من أنفسهم أن لهم من الطاعة مايستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله تعالى ، ولا يعلمون أن الله تعالى أذن لهم فى تلك الشفاعة ، وأنهم يستحقون المقت والزجر على ذلك .

وهذا يدل على أنه ليس لأحد من الخلائق أن يقدم على الشفاعة إلا بإذن الله تعالى

(المسألة الثالثة)

هؤلاء المذكورون فى هذه الآية يحتمل أن يكون هم الملائـكة ، وسائر من يشفع يوم القيامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

أما قوله (ولا يحيطون بشىء من علمه)

ففيه مسائل :

(المسألة الأولى)

المراد بالعلم ههنا المعلوم ، كما يقال : اللهم اغفر لنا علمك فينا ، أى : معلومك .

وإذا ظهرت آية عظيمة قيل : هذه قدرة الله ، أى : مقدوره والمعنى أن أحداً لا يحيط بمعلومات الله تعالى .

(المسألة الثانية)

المراد أنه تعالى عالم بكل المعلومات ، والخلق لا يعلمون كل المعلومات ، بل لا يعلمون منها إلا القليل .

(المسألة الثالثة)

قال الليث : يقال لكل من أحرز شيئاً أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به وذلك لأنه إذا علم بأول الشيء وآخره بتمامه صار العلم كالمحيط به .

أما قوله (إلا بما شاء)

ففيه قولان :

أحدهما : أنهم لا يعلمون شيئاً من معلوماته إلا بما شاء هو أن يعلمهم .

كما حكى عنهم أنهم قالوا (لا علم لنا إلا ما علمتنا)

والثانى : أنهم لا يعلمون الغيب إلا عند اطلاع الله بعض أنبيائه على بعض الغيب .

كما قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) .

أما قوله تعالى (وسع كرسيه السماوات والأرض) .

فاعلم أنه يقال : وسع فلاناً الشيء يسعه سعة إذا احتمله وأطاقه ، وأمكنه القيام به .

ولا يسعك هذا ، أى لا تطيقه ولا تحتمله .

ومنه قوله عليه السلام « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعى »

أى : لا يحتمل غير ذلك .

وأما الكرسى فأصله فى اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض .

وتكارس الشيء إذا تركب .

ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض .

و « الكرسى » هو هذا الشيء المعروف لتركب خشباته بعضها فوق بعض .

واختلف المفسرون فى تفسيره على أربعة أقوال :

الأول :

أنه جسم عظيم يسع السماوات والأرض .

ثم اختلفوا فيه .

فقال الحسن : « الكرسى » هو نفس العرش ، لأن السرير قد يوصف بأنه عرش ، وبأنه كرسى ، لكون كل واحد منهما بحيث يصح التمكن عليه .

وقال بعضهم : بل الكرسى غير العرش .

ثم اختلفوا فنهم من قال : انه دون العرش وفوق السماء السابعة .

وقال آخرون : انه تحت الأرض ، وهو منقول عن السدى !

واعلم أن لفظ الكرسى ورد فى هذه الآية وجاء فى الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة .

ولا امتناع فى القول به ، فوجب القول باتباعه .

(القول الثانى)

أن المراد من « الكرسى » السلطان والقدرة والملك .

ثم تارة يقال : الإلهية لا تحصل إلا بالقدرة والخلق والإيجاد .

والعرب يسمون أصل كل شىء « الكرسى »

وتارة يسمى الملك بالكرسى ، لأن الملك يجلس على الكرسى ، فيسمى الملك باسم مكان الملك .

(القول الثالث)

أن «الكرسى» هوالعلم ، لأن العلم موضوع العالم، وهو الكرسى فسميت صفة الشىء باسم مكان ذلك الشىء على سبيل المجاز لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه ، والكرسى هو الشىء الذى يعتمد عليه .

ومنه يقال للعلماء : كراسى[1] ، لأنهم الذين يعتمد عليهم، كما يقال لهم : أوتاد الأرض .

---

(١) كما يقال الآن للأستاذ بالجامعة أستاذ كرسى الأدب العربى — مثلا .

(والقول الرابع)

ما اختاره القفال ، وهو أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه .

وتقريره أنه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم وعظمائهم .

من ذلك أنه جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم .

وذكر فى الحجر الأسود أنه يمين الله فى أرضه ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدى ملوكهم .

وكذلك ما ذكر فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ، ووضع الموازين .

فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً ، فقال (الرحمن على العرش استوى).

ثم وصف عرشه فقال (وكان عرشه على الماء)

ثم قال (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) .

وقال (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)

وقال (الذين يحملون العرش ومن حوله)

ثم أثبت لنفسه كرسياً فقال (وسع كرسيه السماوات والأرض) .

إذا عرفت هذا فنقول :

كل ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه فى العرش والكرسى ، فقد ورد مثلها بل أقوى منها فى الكعبة والطواف وتقبيل الحجر .

ولما توافقنا ههنا على أن المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بأنه منزه عن أن يكون فى الكعبة فكذا الكلام فى العرش والكرسى .

وهذا جواب مبين إلا أن المعتمد هو الأول .

لأن ترك الظاهر بغير دليل لا يجوز والله أعلم .

أما قوله تعالى (ولا يؤده حفظهما)

فاعلم أنه يقال : آده يؤده ، إذا أثقله وأجهده ، وأدت العود أوداً ، وذلك إذا اعتمدت عليه بالثقل حتى أملته .

والمعنى : لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما .

أى : حفظ السماوات والأرض .

ثم قال : (وهو العلى العظيم) .

واعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد منه العلو بالجهة .

وقد دللنا على ذلك بوجوه كثيرة .

ونريد ههنا وجهين آخرين :

الأول : أنه لو كان علوه بسبب المكان لكان لا يخلو إما أن يكون متناهياً فى جهة فوق ، أو غير متناه فى تلك الجهة .

والأول باطل لأنه إذا كان متناهياً فى جهة فوق ، كان الجزء المفروض فوقه أعلى منه .

فلا يكون هو أعلى من كل ما عداه بل يكون غيره أعلى منه .

وإن كان غير متناه فهذا محال ، لأن القول بإثبات بعد لا نهاية له باطل بالبراهين اليقينية .

وأيضاً فانا إذا قدرنا بعداً لا نهاية له ، لافترض فى ذلك البعد نقط غير متناهية .

فلا يخلو إما أن يحصل فى تلك النقط نقطة واحدة لا يفترض فوقها نقطة أخرى وإما أن لا يحصل .

فان كان الأول كانت النقطة طرفاً لذلك البعد ، فيكون ذلك البعد متناهياً ، وقد فرضناه غير متناه ، هذا خلف .

وإن لم يوجد فيها نقطة إلا وفوقها نقطة أخرى كان كل واحدة من تلك النقط المفترضة فى ذلك البعد سفلا ، ولا يكون فيها ما يكون فوقاً على الإطلاق .

فحينئذ لا يكون لشىء من النقط المفترضة فى ذلك البعد علو مطلق البتة وذلك ينفى صفة العلوية .

(الحجة الثانية)

أن العالم كرة

ومتى كان الأمر كذلك فكل جانب يفرض علواً بالنسبة إلى أحد وجهى الأرض يكون سفلا بالنسبة إلى الوجه الثانى فينقلب غاية العلو غاية السفل .

(الحجة الثالثة)

أن كل وصف يكون ثبوته لأحد الأمرين بذاته ، وللآخر بتبعية الأول كان ذلك الحكم فى الذاتى أتم وأكمل ، وفى العرضى أقل وأضعف .

فلو كان علو الله تعالى بسبب المكان لكان علو المكان الذى بسببه حصل هذا العلو لله تعالى صفة ذاتية .

ولكان حصول هذا العلو لله تعالى حصولا بتبعية حصوله فى المكان .

فكان علو المكان أتم وأكمل من علو ذات الله تعالى .

فيكون علو الله ناقصاً ، وعلو غيره كاملا ، وذلك محال .

فهذه الوجوه قاطعة فى أن علو الله تعالى يمتنع أن يكون بالجهة .

وما أحسن ما قال أبو مسلم بن بحر الأصفهانى فى تفسير قوله (قل لمن ما فى السماوات والأرض قل لله) قال : وهذا يدل على أن المكان والمكانيات بأسرها ملك الله تعالى وملكوته .

ثم قال : (وله ما سكن فى الليل والنهار) .

وهذا يدل على أن الزمان والزمانيات بأسرها ملك الله تعالى وملكوته .

فتعالى وتقدس عن أن يكون علوه بسبب المكان .

وأما عظمته فهى أيضاً بالمهابة والقهر والكبرياء

ويمتنع أن تكون بسبب المقدار والحجم .

لأنه إن كان غير متناه فى كل الجهات أو فى بعض الجهات فهو محال لما ثبت بالبراهين القاطعة عدم إثبات أبعاد غير متناهية .

وإن كان متناهياً من كل الجهات كانت الأحياز المحيطة بذلك المتناهى أعظم منه .

فلا يكون مثل هذا الشيء عظيما على الاطلاق .

فالحق أنه سبحانه وتعالى أعلى وأعظم من أن يكون من جنس الجواهر والأجسام .

تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ماذا قال الإمام ابن كثير ؟

هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ ﻫ .

وإليك ما قاله فى تفسير الآية العظمى .

* * *

هذه آية الكرسى ، ولها شأن عظيم

وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية فى كتاب الله .

قال الإمام أحمد :

« حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن سعيد الجريرى ، عن أبى السليل ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبى ، هو ابن كعب ، أن النبى صلى الله عليه وسلم سأله : أى آية فى كتاب الله أعظم ؟

« قال : الله ورسوله أعلم

« فرددها مراراً

« ثم قال : آية الكرسى

« قال : ليهنك العلم أبا المنذر ، والذى نفسى بيده إن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » .

وقال الإمام أحمد :

« حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عثمان بن عتاب ، قال : سمعت أبا السليل ، قال :

« كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحدث الناس حتى يكثروا عليه فيصعد على سطح بيت فيحدث الناس

« قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى آية فى القرآن أعظم ؟

« فقال رجل (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)

« قال : فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى

« أو قال : فوضع يده بين ثديى فوجدت بردها بين كتفى

« وقال : ليهنك العلم يا أبا المنذر »

* * *

(حديث آخر)

عن الأسقع البقرى

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى :

حدثنا أبو يزيد القراطيسى ، حدثنا يعقوب بن أبى عباد المكى ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن ابن جريج ، أخبرنى عمر بن عطاء ، أن مولى ابن الأسقع رجل صدق أخبره عن الأسقع البكرى ، أنه سمعه يقول :

« إن النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين

« فسأله إنسان : أى آية فى القرآن أعظم؟

« فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)

« حتى انقضت الآية »

* * *

(حديث آخر)

عن أنس —

قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن الحارث ، حدثنى سلمة بن وردان ، أن أنس ابن مالك حدثه

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل رجلا من صحابته فقال :

« أى فلان هل تزوجت ؟

« قال : لا وليس عندى ما أتزوج به

« قال : أو ليس معك ، قل هو الله أحد ؟

« قال : بلى

« قال : ربع القرآن

« قال : أليس معك قل ياأيها الكافرون ؟

« قال : بلى

« قال : ربع القرآن

« قال : أليس معك إذا زلزلت ؟

« قال : بلى

« قال : ربع القرآن

« قال : أليس معك إذا جاء نصر الله ؟

« قال : بلى

« قال : ربع القرآن

« قال : أليس معك آية الكرسى ، الله لا إله إلا هو ؟

« قال : بلى

« قال : ربع القرآن »

* * *

(حديث آخر)

عن أبى ذر جندب بن جنادة .

قال الإمام أحمد :

« حدثنا وكيع بن الجراح

« حدثنا المسعودى

« أنبأنى أبو عمر الدمشقى

« عن عبيد بن الخشخاش

« عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال :

« أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد ، فجلست

« فقال : يا أبا ذر ، هل صليت ؟

« قلت : لا

« قال : قم فصل

« قال : فقمت ، فصليت ، ثم جلست

« فقال : يا أبا ذر ، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن

« قال : قلت يارسول الله أوللانس شياطين ؟!

« قال : نعم

« قال : قلت : يا رسول الله ، الصلاة ؟

« قال : خير موضوع ، من شاء أقل ، ومن شاء أكثر

« قال : قلت : يارسول الله ، فالصوم ؟

« قال : فرض مجزى ، وعند الله مزيد

« قلت : يارسول الله ، فالصدقة ؟

« قال : أضعاف مضاعفة

« قلت : يا رسول الله ، فأيها أفضل ؟

« قال : جهد من مقل ، أو سر إلى فقير

« قلت : يا رسول الله ، أى الأنبياء كان أول ؟

« قال : آدم

« قلت : يا رسول الله ، ونبي كان ؟.

« قال : نعم ، نبي مكلم

« قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟

« قال : ثلاثمائة وبضعة عشر ، جماً غفيراً

« وقال مرة : وخمسة عشر

« قلت : يارسول الله ، أى ما أنزل عليك أعظم ؟

« قال : آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) » .

ورواه النسائى

* * *

وقد ذكر البخارى .. عن أبى هريرة .. من صحيحه :

قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو : حدثنا عوف

« عن محمد بن سيرين

« عن أبى هريرة قال :

« وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان

« فأتانى آت ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

« قال : دعنى ، فإنى محتاج وعلى عيال ، ولى حاجة شديدة

« قال : فخليت عنه

« فأصبحت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟

« قال : قلت يارسول الله ، شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته ، وخليت سبيله

« قال : أما إنه قد كذبك ، وسيعود

« فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه سيعود »

« فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

« قال : دعنى ، فإنى محتاج ، وعلى عيال ، لا أعود

« فرحمته ، وخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟

« قلت : يارسول الله ، شكا حاجة ، وعيالا ، فرحمته ، فخليت سبيله

« قال : أما إنه قد كذبك وسيعود

« فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود !

فقال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها

« قلت : وما هى ؟

« قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح

« فخليت سبيله ، فأصبحت

« فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مافعل أسيرك البارحة ؟

« قلت : يا رسول الله ، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها ، فخليت سبيله

قال : ما هى ؟

« قال لى : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح

« وكانوا أحرص شىء على الخير

« فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« أما إنه صدقك ، وهو كذوب . تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟

« قلت : لا

« قال : ذاك شيطان » .

***

وقد روى من وجه آخر ، عن أبي هريرة ، بسياق آخر قريب من هذا

فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره :

« حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار

« حدثنا أحمد بن زهير بن حرب

« أنبأنا مسلم بن إبراهيم

« أنبأنا إسماعيل بن مسلم العبدى

« أنبأنا أبو المتوكل الناجى

« أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة ، وكان فيه تمر

« فذهب يوماً ، ففتح الباب ، فوجد التمر قد أخذ منه ملء كف

« ودخل يوماً آخر ، فإذا قد أخذ منه ملء كف

« ثم دخل يوماً آخر ثالثاً ، فإذا قد أخذ منه مثل ذلك

« فشكا ذلك أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

« فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : تحب أن تأخذ صاحبك هذا ؟

« قال : نعم

« قال : فإذا فتحت الباب فقل : سبحان من سخرك محمد

« فذهب ففتح الباب ، فقال : سبحان من سخرك محمد

« فإذا هو قائم بين يديه

« قال ياعدو الله ، أنت صاحب هذا ؟

« قال : نعم ، دعني فإني لا أعود ، ما كنت آخذاً إلا لأهل بيت من الجن فقراء

« نخلى عنه

« ثم عاد الثانية

« ثم عاد الثالثة

« فقلت : أليس قد عاهدتني ألا تعود ؟! . لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي صلى الله عليه وسلم

« قال : لا تفعل ، فإنك إن تدعني ، علمتك كلمات إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن ، صغير ولا كبير ، ذكر ولا أنثى

« قال له - لتفعلن ؟

« قال : نعم

« قال : ما هن ؟

« قال (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)
« قرأ آية الكرسى حتى ختمها ، فتركه ، فذهب فلم يعد
« فذكر ذلك أبو هريرة للنبى صلى الله عليه وسلم
« فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما علمت أن ذلك كذلك » ؟

* * *

(حديث آخر)
عن أبى هريرة
قال الحاكم أبو عبد الله ، فى مستدركه :
« حدثنا على بن حشاد
« حدثنا بشر بن موسى
« حدثنا الحميدى
« حدثنا سفيان
« حدثنى حكيم بن جبير الأسدى
« عن أبى صالح
« عن أبى هريرة
« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن ، لا تقرأ فى بيت فيه شيطان إلا خرج منه : آية الكرسى » .

* * *

وقد رواه الترمذى

من حديث زائدة ، ولفظه :

« لكل شيء سنام ، وسنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هى سيدة آى القرآن : آية الكرسى »

* * *

(حديث آخر)

قال ابن مردويه :

« حدثنا عبد الباقى بن نافع

« أخبرنا عيسى بن محمد المروزى

« أخبرنا عمر بن محمد البخارى

« أخبرنا عيسى بن موسى غنجار

« عن عبد الله بن كيسان

« حدثنا يحيى

« أخبرنا يحيى بن عقيل

« عن يحيى بن يعمر

« عن ابن عمر

« عن عمر بن الخطاب

« أنه خرج ذات يوم إلى الناس وهم سماطات

« فقال : أيكم يخبرنى بأعظم آية فى القرآن ؟

« فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أعظم آية فى القرآن

(الله لا إله إلا هو الحى القيوم) » .

* * *

(حديث آخر)

فى اشتماله على اسم الله الأعظم .

قال الإمام أحمد :

« حدثنا محمد بن بكير

« أنبأنا عبد الله بن أبى زياد

« حدثنا شهر بن حوشب

« عن أسماء بنت يزيد بن السكن

« قالت : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى هاتين الآيتين (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) و (ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم)

« إن فيهما اسم الله الأعظم »

وكذا رواه أبو داود ... والترمذى ... وابن ماجة ... وقال الترمذى : حسن صحيح .

* * *

(حديث آخر)

فى معنى هذا

عن أبى أمامة رضى الله عنه .

قال ابن مردويه :

« أخبرنا عبد الله بن نمير

« أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن إسماعيل

« أخبرنا هشام بن عمار

« أنبأنا الوليد بن مسلم

« أخبرنا عبد الله بن العلاء بن زيد

« أنه سمع القاسم بن عبد الرحمن يحدث عن أبى أمامة

« يرفعه ، قال :

« اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى ثلاث : سورة البقرة، وآل عمران ، وطه »

وقال هشام ، وهو ابن عمار ، خطيب دمشق :

« أما البقرة فـ (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) . وفى آل عمران (الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفى طه (وعنت الوجوه للحى القيوم) » .

وقد ورد فى فضلها أحاديث أخر ... تركناها اختصاراً ...

* * *

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة

فقوله (الله لا إله إلا هو)

إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق

(الحى القيوم)

أى : الحى فى نفسه ، الذى لا يموت أبداً ، القيم لغيره

فجميع الموجودات مفتقرة إليه ، وهو غنى عنها ، ولاقوام لها بدون أمره كقوله (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره)

وقوله (لا تأخذه سِنة ولا نوم)

أى : لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه

بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شىء ، لا يغيب عنه شىء ، ولا يخفى عليه خافية

ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم

فقوله (لا تأخذه) أى . لا تغلبه سنة ، وهى الوسن والنعاس ولهذا قال (ولا نوم) لأنه أقوى من السنة

وفى الصحيح ، عن أبى موسى ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال « إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور، أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »

وقال ابن أبى حاتم :

« حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية

« حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستكى

« حدثنى أبى عن أبيه

« حدثنا أشعث بن إسحق

« عن جعفر بن أبى المغيرة

« عن سعيد بن جبير

« عن ابن عباس

« أن بنى إسرائيل قالوا : يا موسى ، هل ينام ربك ؟

« قال : اتقوا الله

« فناداه ربه عز وجل : ياموسى ، سألوك هل ينام ربك ؟ فخذ زجاجتين فى يديك ، فقم الليلة

« ففعل موسى

« فلما ذهب من الليل ثلث نعس ، فوقع لركبتيه

« ثم انتعش فضبطهما

« حتى إذا كان آخر الليل نعس ، فسقطت الزجاجتان فانكسرتا

« فقال : ياموسى ، لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض ، فهلكت كما هلكت الزجاجتان فى يديك

« فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم آية الكرسى» .

وقوله (له ما فى السماوات وما فى الأرض)

إخبار بأن الجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه

كقوله (إن كل من فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)

وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)

كقوله (وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

وكقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة .

كما فى حديث الشفاعة : « آتى تحت العرش ، فأخر ساجداً ، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى . ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واشفع تشفع — قال — فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة » .

وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

كقوله إخباراً عن الملائكة (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً) .

وقوله (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) .

أى : لا يطلع أحد من علم الله على شىء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه .

ويحتمل أن يكون بالمراد : لا يطلعون على شىء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه ، كقوله (ولا يحيطون به علماً) .

وقوله (وسع كرسيه السماوات والأرض) .

قال ابن أبى حاتم :

« حدثنا أبو سعيد الأشج

« حدثنا ابن إدريس

« عن مطرف بن طريف

« عن جعفر بن أبى المغيرة

« عن سعيد بن جبير

« عن ابن عباس ، فى قوله (وسع كرسيه السماوات والأرض) .

« قال : علمه » .

وقال السدى ، عن أبى مالك : الكرسى تحت العرش .

وقال السدى : السماوات والأرض فى جوف الكرسى ، والكرسى بين يدى العرش .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : لو أن السماوات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ، ما كن فى سعة الكرسى ، إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة .

وقال ابن جرير :

« حدثنى يونس

« أخبرنى ابن وهب قال :

« قال ابن زيد :

« حدثني أبي قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس »[1] .

قال : وقال أبو ذر :

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض » .

وقال أبو بكر بن مردويه :

« أخبرنا سليمان بن أحمد

« أخبرنا عبد الله بن وهيب المقرى

« أخبرنا محمد بن أبي اليسرى العسقلاني

« أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي

« عن القاسم بن محمد الثقفي

---

(١) تترس بالشيء ، جعله كالترس ، وتستر به ، وكل شيء تترست به فهو مترسة لك .

« عن أبى إدريس الخولانى

« عن أبى ذر الغفارى

« أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة » .

. والصحيح أن الكرسى غير العرش ، والعرش أكبر منه ، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار .

وقوله (ولا يؤوده حفظهما)

أى : لا يثقله ، ولا يكترثه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ومن بينهما .

بل ذلك سهل عليه ، يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شىء ، ولا يغيب عنه شىء .

والأشياء كلها حقيرة بين يديه ، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة ، وهو الغنى الحميد ، الفعال لما يريد ، الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو القاهر لكل شىء ، الحسيب على كل شىء ،

الرقيب ،العلى العظيم ، لا إله غيره ، ولا رب سواه

فقوله (وهو العلى العظيم) كقوله (وهو الكبير المتعال)

وهذه الآيات ، ومافى معناها من الأحاديث الصحاح ، الأجود فيها طريقة السلف الصالح ، امرارها ، كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه .

ماذا قال الإمام الألوسي؟

من هو الألوسى؟

هو خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين ، مرجع أهـــل العراق ، ومفتى بغداد

العلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى.

توفى سنة ١٢٧٠ هـ

وإليك شيئاً مما قاله فى تفسير هذه الآية الـكبرى فى كتابه الجامع الخالد « روح المعانى فى تفسير القرآن المظيم والسبع المثانى » ..

* * *

« الله لا إله إلا هو »

مبتدأ وخبر ...

والمراد : هو المستحق للعبودية لا غير .

« الحى »

الحياة هى القوة التابعة للاعتدال النوعى ، التى تفيض عنها سائر القوى الحيوانية ، أو قوة التغذية ، أو قوة الحس ، أو قوة تقتضى الحس والحركة

والـكل مما يمتنع اتصاف الله تعالى به لأنه من صفات الجسمانيات

فهى فيه سبحانه صفة موجودة حقيقية قائمة بذاته لا يكتنه كنهها ولا تعلم حقيقتها

كسائر صفاته جل شأنه

زائدة على مجموع العلم والقدرة

وليست نفس الذات حقيقة ، ولا ثابتة ، لا موجودة ولا معدومة

فالحى ذات ، قامت به تلك الصفة

« القيوم »

الدائم الوجود .

أو : القائم بذاته .

أو : القائم بتدبير خلقه ، من إنشائهم ابتداء ، وايصال أرزاقهم إليهم .

أو : العالم بالأمور . . من قولهم فلان يقوم بالكتاب ، أى : يعلم ما فيه . .

أو : الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه .

وذهب جمع إلى أن « القيوم » هو اسم الله تعالى الأعظم .

وفسره هؤلاء بأنه القائم بذاته والمقوم لغيره

وفسروا القيام بالذات بواجب الوجود ، المستلزم لجميع الكمالات، والتنزه عن سائر وجوه النقص

وجعلوا التقويم للغير متضمناً جميع الصفات الفعلية

فصح لهم القول بذلك .

« لا تأخذه سنة ولا نوم »

السنة : فتور يتقدم النوم ، وليس بنوم ..

والنوم بديهى التصور ، يعرض للانسان والحيوان من استرخاء الأعصاب بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأساً .

وتقديم « السنة » على النوم . لما فيه من التأكيد ..

إذ نفى « السنة » يقتضى نفى النوم ضمناً ..

وقالوا : هذا إذا أخذ « الأخذ » بمعنى العروض والاعتراء

« وأما لو أخذ بمعنى القهر والغلبة ، ومنه قوله تعالى : (أخذ عزيز مقتدر) .. يكون المعنى : لا تغلبه السنة ، ولا النوم ، الذى هو أكثر غلبة منها

والجملة نفى للتشبيه ، وتنزيه له تعالى ، أن يكون له مثل من الأحياء ، لأنها لا تخلو من ذلك فكيف تشابهه ؟

وفيها تأكيد لكونه تعالى حياً قيوماً .. لأن النوم آفة تنافى دوام الحياة وبقاءها ، وصفاته تعالى قديمة لا زوال لها .

ولأن من يعتريه النوم والغلبة لا يكون واجب الوجود دائمه ، ولا عالماً مستمر العلم ، ولا حافظاً قوى الحفظ .

« له ما فى السماوات وما فى الأرض »

تقريراً لقيوميته تعالى ، واحتجاج على تفرده فى الإلهية

والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم

فيعلم من الآية نفى كون الشمس والقمر وسائر النجوم والملائكة والأصنام والطواغيت آلهة مستحقة للعبادة

« من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه »

استفهام إنكارى ..

والمقصود منه بيان كبرياء شأنه تعالى ، وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه

بحيث يستقل أن يدفع ما يريده وفقاً على وجه الشفاعة والاستكانة والخضوع

فضلا عن أن يستقل بدفعه دفعاً أو مناصبة وعداوة

وفى ذلك تأييس للكفار ، حيث زعموا أن آلهتهم شفعاء لهم عند الله تعالى .

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم »

أى : أمر الدنيا ، وأمر الآخرة

أو : عكس ذلك . . أى : أمر الآخرة وأمر الدنيا

أو : يعلم ما كان قبلهم ، وما كان بعدهم

أو : ما بين أيديهم من خير أو شر ، وما خلفهم مما فعلوه كذلك

أو : ما يدركونه وما لا يدركونه

أو : ما يحسونه ويعقلونه

والكل محتمل . .

ووجه الإطلاق فيه ظاهر .

« ولا يحيطون بشىء من علمه »

أى : معلومه . . كقولهم : اللهم اغفر لنا علمك فينا

والإحاطة بالشىء علماً : علمه كما هو على الحقيقة

والمعنى : لا يعلم أحد من هؤلاء كنه شىء ما من معلوماته تعالى

« إلا بما شاء »

إلا بما شاء أن يعلم

وجوز أن يراد من علمه معلومه الخاص ، وهو كل ما فى الغيب

(فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)

وعطفت هذه الجملة على ما قبلها ، لمغايرتها له ، لأن ذلك يشعر بأنه سبحانه يعلم كل شيء ، وهذه تفيد أنه لا يعلمه غيره

ومجموعها دال على تفرده تعالى بالعلم الذاتى ، الذى هو من أصول صفات الكمال التى يجب أن يتصف الإله تعالى شأنه بها بالفعل

« وسع كرسيه السموات والأرض »

الكرسى : جسم بين يدى العرش ، محيط بالسماوات السبع

عن ابن عباس : لو أن السماوات السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن فى سعته ـ أى : الكرسى ـ إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة

وهو غير العرش

كما يدل عليه ما أخرجه ابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، عن أبى ذر ، أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى ، فقال :

« يا أبا ذر ما السماوات السبع ، والأرضون السبع ، عند الكرسى ، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة

« وأن فضل العرش على الكرسى ، كفضل الفلاة على تلك الحلقة » .

وقيل : كرسيه : قدرة الله تعالى

وقيل : تدبيره

وقيل : ملك من ملائكته

وقيل : مجاز عن العلم ، من تسمية الشيء بمكانه لأن الكرسى مكان العالم الذى فيه العلم ، فيكون مكاناً للعلم بتبعيته

وقيل : عن الملك ، أخذاً من كرسى الملك

وقيل : أصل الكرسى ما يجلس عليه ، والكلام مساق على سبيل التمثيل لعظمته تعالى شأنه ، وسعة سلطانه ، وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة

ففى الكلام استعارة تمثيلية ، وليس ثمة كرسى ولا قاعد ولا قعود

وهذا الذى اختاره الجم الغفير من الخلف

فرارا من توهم التجسيم

وحملوا الأحاديث التى ظاهرها حمل الكرسى على الجسم المحيط على مثل ذلك

وأكثر السلف الصالح جعلوا ذلك من المتشابه ، الذى لا يحيطون به علماً ، وفوضوا علمه إلى الله تعالى ، مع القول بغاية التنزيه ، والتقديس له تعالى شأنه

والقائلون بالمظاهر من الصوفية ، لم يشكل عليهم شيء من أمثال ذلك

وقد ذكر بعض العارفين منهم أن الكرسى عبارة عن تجلى جملة الصفات الفعلية ، فهو مظهر إلهى ، ومحل نفوذ الأمر والنهى .

وقد وسع السماوات والأرض ، وسع وجود عينى ، ووسع حكمى ، لأن وجودها المقيد من آثار الصفات الفعلية ، التى هو مظهر لها

وللعارفين فى هذا المقام كلام غير هذا .

« ولا يؤده »

أى : لا يثقله

وهو مأخوذ من الأود بمعنى الاعوجاج ، لأن الثقيل يميل له ما تحته

والضمير لله تعالى

وقيل : للكرسى

« حفظهما »

أى : السماوات والأرض

وإنما لم يتعرض لذكر ما فيهما ، لما أن حفظهما مستتبع لحفظه

وخصهما بالذكر دون الكرسى ، لأن حفظهما هو المشاهد المحسوس .

« وهو العلى »

أى : المتعالى ، عن الأشباه ، والأنداد ، والأمثال ، والأضداد

وعن أمارات النقص ، ودلالات الحدوث .

وقيل : هو من العلو الذى هو بمعنى القدرة والسلطان والملك ، وعلو الشأن ، والقهر ، والاعتلاء ، والجلال والكبرياء .

« العظيم »

ذو العظمة

وكل شىء بالإضافة إليه حقير .

* * *

ولما جليت على منصة هذه الآية الكريمة عرائس المسائل الإلهية ، وأشرقت على صفحاتها أنوار الصفات العلية

حيث جمعت أصول الصفات

من الألوهية ، والوحدانية ، والحياة ، والعلم ، والملك ، والقدرة ، الإرادة

واشتملت على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى

ظاهراً فى بعضها ومستتراً فى البعض

ونطقت بأنه سبحانه موجود منفرد فى ألوهيته

حى واجب الوجود لذاته ، موجد لغيره

منزه عن التحيز والحلول

مبرأ عن التغير والفتور

لا مناسبة بينه وبين الأشباح

ولا يحل بساحة جلاله ما يعرض النفوس والأرواح

مالك الملك والملكوت

ومبدع الأصول والفروع

ذو البطش الشديد

العالم وحده بجلى الأشياء وخفيها ، وكليها وجزئيها

واسع الملك والقدرة ، لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه

لا يشق عليه شاق

ولا يثقل شيء لديه

متعال عن كل ما لا يليق بجنابه

عظيم لا يستطيع طير الفكر أن يحوم فى بيداء صفات قامت به .

تفردت بقلائد فضل خلت عنها أجياد أخواتها الجياد ، وجواهر خواص تتهادى بها بين أترابها .

أخرج مسلم ، وأحمد ، وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إن أعظم آية فى القرآن آية الكرسى » .

وعن علىّ ، كرم الله تعالى وجهه أنه قال :

« لو تعلمون ما فيها لما تركتموها على حال

« أن رسول الله صلى الله تعالى عايه وسلم قال :

« أعطيت آية الكرسى من كنز تحت العرش ، لم يؤتها نبى قبلى » .

والأخبار فى فضلها كثيرة شهيرة .

* * *

من باب الإشارة

(الله لا إله) فى الوجود العلمى (إلا هو الحى) الذى حياته عين ذاته ، وكل ما هو حى لم يحى إلا بحياته .

(القيوم) الذى يقوم بنفسه ، ويقوم كل ما يقوم به .

وقيل : الحى : الذى ألبس حياته أسرار الموحدين فوحدوا به .

والقيوم : الذى ربى بتجلى الصفات ، وكشف الذات ، أرواح العارفين ، ففنوا فى ذاته ، واحترقوا بنور كبريائه .

(لا تأخذه سنة ولا نوم) بيان لقيوميته ، وإشارة إلى أن حياته عين ذاته .

له ما فى سماوات الأرواح ، وأرض الأشباح .

فلا يتحرك متحرك ، ولا يسكن ساكن ، ولا يخطر خاطر ، فى بر أو بحر ، وسر أو جهر ، إلا بقدرته وإرادته وعلمه ومشيئته .

(من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) إذ كلهم له ومنه وإليه وبه .

(يعلم ما بين أيديهم) من الخطرات (وما خلفهم) من العثرات .

أو : ما بين أيديهم من المقامات وما خلفهم من الحالات .

أو : يعلم منهم ما قبل إيجادهم ، من كمية استمدادهم .

وما بعد إنشائهم من العمل بمقتضى ذلك

(ولا يحيطون بشىء من) معلوماته التى هى مظاهر أسمائه .

(إلا بما شاء) كما يحصل لأهل القلوب ، من معاينات أسرار الغيوب .

وإذا تقاصرت الفهوم عن الإحاطة بشىء من معلوماته ، فأى طمع لها فى الإحاطة بذاته ؟

هيهات هيهات ، أنى لخفاش الفهم أن يفتح عينه فى شمس هاتيك الذات ؟ !

(وسع كرسيه) الذى هو قلب العارف

(السماوات والأرض) لأنه معدن العلوم الإلهية ، والعلم اللدنى ، الذى لا نهاية له ولا حد .

ومن هنا قال أبو يزيد البسطامى : لو وقع العالم ، ومقدار ما فيه ألف ألف مرة ، فى زاوية من زوايا قلب العارف ، ما أحس به !!!

وقيل : كرسيه : عالم الملكوت ، وهو مطاف أرواح العارفين لجلال الجبروت .

(ولا يؤده) ولا يثقله .

(حفظهما) فى ذلك الكرسى لأنهما غير موجودين بدونه

(وهو العلى) الشأن ، الذى لا تقيده الأكوان .

(العظيم) الذى لا منتهى لعظمته ولا يتصور كنه ذاته.

لإطلاقه حتى عن قيد الإطلاق .

اشعاعات الآية العظمى

ما معنى هذا السؤال ؟ !

فى سياق الفصول السابقة . . قرأنا أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أى آية فى القرآن أعظم ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، الحى ، القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . . .

حتى انقضت الآية . . .

فما معنى هذا ؟ !

معناه خطير جداً . . أن آية الكرسى أعظم آية فى القرآن !

فما هو المكنون وراء ذلك المعنى ؟

المكنون . . أن آية الكرسى . . قمة القرآن وذروة سنام القرآن ! !

ومالنا نذهب بعيداً . . وها هو النبي صلى الله عليه وسلم . . يؤكد لنا ذلك المعنى ؟

حيث روى الترمذى . . عنه صلى الله عليه وسلم . .

« لكل شىء سنام ، وسنام القرآن سورة البقرة

« وفيها آية هى سيدة آى القرآن ، آية الكرسى » .

لـكل شيء سنام ؟ !

أي : لـكل شيء قمة . .

وسنام القرآن سورة البقرة . .

أي : وقمة القرآن سورة البقرة . .

وفيها آية هي سيدة آي القرآن ، آية الـكرسي . .

فسورة البقرة قمة القرآن . . وآية الـكرسي قمة البقرة . . إذن آية الـكرسي قمة القرآن ! ! !

وقد عبر ابن كثير عن هذا كله . . بلغة زمانه . . حين قال بأنها أفضل آية في كتاب الله . . .

وتعبير « أفضل » بمفاهيم عصورهم ، يدل على أنها قمة القرآن . . بلغة عصرنا ! !

أبو ذر . . . يسأل . . . رسول الله . . . ؟ !

وألقى أبو ذر . . ذلك السؤال الخطير . .

يا رسول الله ، أي ما أنزل عليك أعظم ؟

وهو سؤال خطير . . يدل على عقلية عجيبة ! !

إن أبا ذر يحرص أشد الحرص على معرفة الآية . . التي هي قمة كتاب الله . .

فماذا كان جوابه صلى الله عليه وسلم ؟

قال : آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) .

ولقد كان أبو ذر دقيقاً .. فى سؤاله حين قال : أى ما أنزل عليك أعظم ؟

انه يفتش عن أعلى ، قمة ، فى كتاب الله !

لماذا كانت أعظم آى القرآن ؟ !

لقد قرأنا فى ثنايا ذلك الكتيب .. ما قاله عظماء الأقدمين .. فى هذا السبيل ..

فقال الألوسى: واشتملت على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى .. ظاهراً فى بعضها ، ومستتراً فى البعض .. ونطقت بأنه سبحانه موجود منفرد فى ألوهيته .. حى واجب الوجود لذاته ، موجد لغيره .. إلى آخر ما مر علينا فى الكتاب ..

وما ذهب إليه هؤلاء الأعلام .. حق ..

إلا أن الأمر أخطر مما يبدو من ظاهر الأقوال ..

فما هو المكنون وراء تلك النظرية الخطيرة .. نظرية أن آية الكرسى أعظم آية فى القرآن ؟

لماذا تظفر تلك الآية الكريمة بذلك الشرف الأسنى ؟

يبدو لى أن ذلك كان كذلك لأنها عبارة عن الآتى :

الله .. يتحدث عن .. الله ؟ !

هذا فيما بدا لى .. هو سر النظرية ..

الله ؟ !

يتحدث عن .. الله ؟ !..

الله .. يتكلم عن ذاته ؟ !

الله .. يتكلم عن صفاته ..

الله .. يتكلم عن أفعاله . .

الله .. يتكلم عن شئونه ..

الله .. يتكلم عن نفسه ..

ومن هنا .. علت آية الكرسى .. وكانت .. سيدة آى القرآن ! !

أمواج النور .. تتشعشع .. من ثناياها ؟ !

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فى ذلك الحديث الخطير .. الذى أخرجه الإمام البخارى .. وأورده ابن كثير فى تفسيره للآية .. ومر علينا فى ثنايا الكتاب . .

أن شيطاناً كان يختلس ، ويحثو من تمر الزكاة ..

وأن أباهريرة .. الموكل بحراسة مخازن الزكاة .. قد ضبطه متلبساً ثلاث مرات ..

فقال له الشيطان : دعنى ، أعلمك كلمات ينفعك الله بها

قال أبو هريرة : وما هى ؟

قال الشيطان : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عايك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح

قال أبو هريرة : نخليت سبيله

فقال لى رسول الله صلى الله عايه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟

« قلت : يا رسول الله ، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها ، نخليت سبيله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هى ؟

قال أبو هريرة : قال لى : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) .

« وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه صدقك ، وهو كذوب .

« تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟

« قلت : لا

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك شيطان .

* * *

فماذا فى هذا الحديث الخطير؟

فيه أن الشيطان لا يقرب من قرأ آية الكرسى كاملة إذا أوى إلى فراشه ، حتى يصبح ! !

فما معنى هذا ؟ !

معناه أن أمواج النور التى تتصاعد من قلب القارىء لتلك الآية العظمى ... تجعل من المستحيل للشيطان أن يقترب من ذلك النائم الذى تلاها ! !

فما سر ذلك الأمر العجيب ؟ !

سره أن أبا هريرة كان مؤمناً وأن المؤمن قلب متجه إلى الله ...

ومتى اتجه القلب إلى الله ... دخل فوراً مقامات النور ...

ومتى دخل القلب مقامات النور ... كان ما يصدر عنه من أفعال وأقوال ... عبارة عن أمواج من النور ...

فإذا قرأ أبو هريرة عند النوم آية الكرسى ..

كان معنى هذا أن هناك قلباً ... من قلوب أهل النور ... تتموج منه موجات النور ... إلى ربها ...

وإذا كان القلب فى مقامات النور ... وتتموج عنه أمواج النور .. استحال على الشياطين أن تقترب منه !!!

ولذلك كان جوابه صلى الله عليه وسلم حين قال له أبو هريرة ما قال: أما علمت أن ذلك كذلك ؟

أما علمت يا أبا هريرة أنك إذا قرأت آية الكرسى عند نومك ، لم يقربك أحد من الجن ، صغير ولا كبير ، ذكر ولا أنثى ؟ ! .

وتلك هى العلالى العليا ... التى يسبح فيها الأنبياء ...

ولا يستطيع من دونهم أن يصلوا إلى شىء منها ...

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... يعلم فى بساطة أن ذلك كذلك !!!

ولكن أبا هريرة ... لا يعلم أن ما أخبره به الجنى كان حقاً ...

إلا أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

ليستيقن ... من ذلك الذى آتاه الله ما لم يؤت أحداً من العالمين !!!

هناك إذا حقيقة أذاعها جنى ... ونقلها أبو هريرة ...

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقها حين قال : أما إنه صدقك ، وهو كذوب !!

تلك الحقيقة أن الشيطان لا يستطيع أن يقرب مؤمناً ، ولا مؤمنة ، قرأ آية الكرسى عند النوم ، حتى يصبح ...

ومكنون تلك الحقيقة ... أن القلب المؤمن ... حين يقرأ آية الكرسى ...

إنما يتموج ... بموجات شعشعانية نورانية ... تتصاعد تواً إلى ربها ...

فإذا ما أقبلت الشياطين على قلبه ... فرت من بعيد ... لأنها لا تستطيع اقتحام النور ...

لماذا هذا ؟ !

إنما كان ذلك كذلك . . بسبب ناموس عجيب . . مكنون فى قوله تعالى . .

« هل أُنَبِّئُكم على مَن تَنَزَّلُ الشياطينُ. تَنَزَّلُ على كلِّ أَفَّاكٍ أثيمٍ » . [الشعراء ٢٢١و٢٢٢]

وقوله تعالى :

« وما تَنَزَّلتْ به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون » . [الشعراء ٢١٠ — ٢١٢]

هناك استحالة أن تتنزل الشياطين بوحى السماء .. لأنه نور النور..

مستحيل أن تقر به الشياطين ..

ومستحيل أن يطيقوا حمله . . لأن طبيعتهم ظلمانية . . والوحى نور . . أعلى موجات النور . .

وصدق الله « وما يستطيعون » !!

« إنهم عن السمع لمعزولون » ؟ !!

وهذا ناموس عجيب !!

إن الشياطين عن سمع الوحى معزولون !!

لمــاذا ؟ !

لأن الوحى نور . .

نور مُركز .. جداً جداً ..

مستحيل أن يقترب الشيطان منه .. لأن موجات الشيطان ظلمانية .. سفلية .. كثيفة . .

والوحى نور .. علوى .. ذو موجات عالية جداً . .

فهناك استحالة أن يقترب الشيطان من الوحى ...

وإنما يستطيع أن يتنزل على قلوب أهل الظلام . . .

لأن موجات قلوبهم ظلمانية . . فهناك تماثل . . وتشابه . . وشبيه الشىء منجذب إليه . . .

وهذا مكنون فى قوله سبحانه : « هل أنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين » ؟

« تنزل على كل أفاك أثيم » !!

على قلب كل أفاك . . كثير الكذب . . . أثيم . . . كثير الإثم

أى : على قلب كل مجرم من أهل الظلام . . .

أما أهل النور المخلصين ... فهناك صعوبة . . . أن تتنزل عليهم الشياطين . . .

فكيف بقمة قمم النور . . . أنبياء الله ورسله ؟ !

ثم كيف بمن هو قمة قمم الأنبياء أجمعين . . . محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ !!

هناك استحاله أن تقترب الشياطين من قلبه الشريف ! !

إذاً أى شيء يتنزل على قلوب أهل النور ؟

يتنزل عليهم ما هو مناسب لقلوبهم .

وذلك نجده مكنوناً فى قوله سبحانه .. الذى نردده كثيراً وقلما نفقه له معنى !

« إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ، ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ما تدّعون » . [فصلت ٣٠ و ٣١]

إن الذين قالوا : ربنا الله ؟ !

إن الذين اتجهت قلوبهم إلينا ..

ثم استقاموا ؟ !

ثم واصلوا السير إلينا . . فى مقامات النور .

هؤلاء ما هى المكافأة العاجلة . . الأوتوماتيكية . . التى يحصلون عليها ؟

« تتنزل » دائماً .. وباستمرار .. تتنزل ..

« عليهم » على قلوبهم . . خاصة . . من دون الناس . . لأنهم أهل النور . .

« الملائكة » أنواع عديدة من الملائكة . .

درجات شتى من الملائكة ؟ !!

كل قلب . . تتنزل عليه الملائكة . . التي تناسب درجته .

وهذا يفتح لك طريق الفهم العميق : لماذا كان جبريل عليه السلام هو الذى ينزل على قلب محمد صلى الله تعالى وسلم ؟ ! لأن جبريل هو أعلى الملائكة مقاماً . . وقلب الرسول صلى الله عليه وسلم . . هو أعلى قلوب البشر مقاماً . .

فجبريل هو الذى ينزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ما أعظم وأعجب هذا الناموس العجيب !!

الملائكة تتنزل على قلوب أهل النور . .

وكل قلب تتنزل عليه الملائكة التي توازى درجته !!

وكلما ارتقى القلب من درجة إلى درجة ، وهو فى طريقه إلى الله . .

تنزلت عليه ملائكة الدرجة التي ارتقى إليها !!

فما أعجب هذا ؟ !

وأعجب منه . . عكس الناموس . . يسرى فى أهل الظلام !!

الشياطين تتنزل على قلوب أهل الظلام ... بما يوازى دركاتهم فى الظلام ... فكل دركة لها شياطين ...

وكلما هوى القلب إلى دركة . . تنزلت عليه شياطينها !!!

فتأمل وتعجب .. وقل : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين !!!

ولعلك الآن أدركت شيئاً من عجائب تلك الأحوال الشعشعانية التى تتصاعد من قلب المؤمن أو المؤمنة ، حين يقرأ آية الكرسى عند النوم ..

فلا يقربه شيطان حتى يصبح !!!

ولعلك بعد ذلك .. توقن أن كتاب الله حق .. نزل من الحق .. على نبى حق !!!

قوةالنور .. المركّز .. فى الآية ؟ !

إنما تستطيع أن تدرك شيئاً من عظمة كلام الله تعالى ..

إذا تفكرت قليلا فىعجائب مكنونات الذرّة ..

وكيف استطاع الإنسان الحديث ... حين فجر الذرة .. أن يطلق الطاقات الهائلة الرهيبة .. المكنونةفى ثناياها ..

كذلكم كلام الله تعالى .. ظاهره كلام فى كتاب ..

وباطنه نور .. مكنون .. لو انشطر .. فانفجر ..

لتشعشعت منه أنوار .. لاتسعها السماوات والأرض !!!

إذا علمنا هذه الحقيقة من كتاب الله .. أمكن أن نعلم : إلى أى مدى تصل عظمة آية الكرسى .. التى هى قمة آى كتاب الله تعالى ؟ !!

لا بد من تردادها كثيراً ؟ !

ولا نستطيع أن نرتفع إلى المقام الذى يؤهلنا لأن نفهم شيئاً من عظمتها ..

إلا إذا رددها الإنسان ترديداً كثيراً .. كثيراً ..

حتى ينطلق القلب فى أمواجها .. يتذوق معانيها .. ومراميها .. ولآليها ..

فأول ما يطالعك وأنت ترددها قوله سبحانه :

الله ؟ !!

ما هى أحاسيسك .. ما هى انفعالاتك .. ما هى انطباعاتك .. وأنت تقرأ هذا الإسم الكريم ؟ !!

كل إنسان .. له فهمه الخاص . فى هذا الإسم !!!

مستحيل .. أن يتفق إثنان . على فهم محدد للاسم « الله » !!!

لماذا ؟ !

لأن القلوب درجات .. والعقول درجات ..

وكل قلب له أحاسيس توازى درجته ..

وكل عقل له أحاسيس توازى ما هو فيه ..

دع عنك ما قالوا فى تفسير اللفظ .. وانطلق أنت .. مرفرفاً .. إليه .. سبحانه !!!

واعلم أن الطريق إليه مفتوح لجميع خلقه.. إذا أرادوه تعالى وحده .
فمن اتجه بقلبه إليه وحده .. خرج فوراً من الظلمات إلى النور ..
قال تعالى .. عقب هذه الآية .. آية الكرسى مباشرة ..

« لا إكراهَ فى الدين ، قد تبين الرشد من الغىِّ ، فمن يكفر بالطاغوتِ ، ويؤمن باللهِ ، فقد استمسك بالعُروةِ الوُثقى ، لا انفصام لها ، والله سميع عليم » .

« الله ولىُّ الذين آمنوا ، يُخرجُهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤُهمُ الطاغوتُ يُخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . [البقرة ٢٥٦ و ٢٥٧]

والذى نلتقطه فى هذا السياق .. هو قوله عز وجل « الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات .. »

هذه نظرية خطيرة جداً ..

بل هو ناموس إلهى خالد .. لا تبديل له ولا تحويل ! !

« الله ولى » الله هو الذى يتولى أمرهم

« الذين آمنوا » الذين اتجهت قلوبهم إلينا رأساً ..

الذين يريدون وجهه تعالى ..

هؤلاء هم أولياء الله تعالى ، الذين يتولى الله أمورهم ..

فكيف يسرى .. ويجرى .. ذلك الناموس .. فى الخلق ؟ !

يخرجهم .. من الظلمات .. إلى النور ؟ !

« يخرجهم » يخرج كل مؤمن .. وكل مؤمنة ..

يخرج كل قلب متجه إلى الله رأساً ..

« من الظلمات » من ظلمات المعاصى

« إلى النور » إلى نور الطاعات

كيف يحدث هذا ؟

يحدث عن طريق القلب ..

قلبك إذا اتجه إلى الله .. وهذا هو معنى الإيمان ..

يخرج فوراً من الظلمات إلى النور ..

أى يقف بباب الله .. بأول مقامات النور ..

وكلما أتى طاعة ازداد بها القلب نوراً .

وكلما ازداد القلب نوراً . . ازداد من الله قرباً !!!

والعكس صحيح ..

يخرجونهم .. من النور . إلى الظلمات ؟ !

« والذين كفروا » والذين اتجهت قلوبهم إلى غير الله ... الذين تولوا عن ربهم ...

« أولياؤهم » الذين يتولون أمورهم

« الطاغوت » الشيطان ..

« يخرجونهم » تخرجهم الشياطين

« من النور » من نور الإيمان .. من نور الاتجاه إلى الله .. من نور الطاعة .. من نور الفطرة المدركة أن لا إله إلا الله ..

« إلى الظلمات » إلى ظلمات الكفر .. وظلمات المعاصى .. وظلمات الشهوات ..

كيف يحدث هذا ؟ !

يحدث أوتوماتيكياً .. فى كل إنسان .. وهو لا يشعر ! !

عن طريق القلب .. ذلك الجهاز العجيب !!

إذا كفر الإنسان .. أى اتجه قلبه إلى غير الله .. كان وليه فوراً الشيطان « أولياؤهم الطاغوت » ..

وبمجرد اتجاه القلب إلى غير الله .. يخرج فوراً من النور إلى الظلمات « يخرجونهم من النور إلى الظلمات »

يخرج من نور الاتجاه إلى الله .. إلى ظلمات الانقلاب عن الله .. وظلمات الاتجاه إلى أسفل ..

وكلما ارتكب الإنسان معصية ، كلما ازداد قلبه ظلمة ..

وكلما ازداد ظلاماً ، ازداد من الله بعدا !!!

ناموس إلهى رهيب عجيب !!!

ولو تأملت قوله سبحانه : « فمن يعمل مثقالَ ذرَّة خيرا يره . ومَن يعمل مثقالَ ذرةٍ شرا يره » .

[الزلزلة ٧ و ٨]

لا نكشفت لك عجائب ذلك الناموس !!

هناك أوتوماتيكية الجزاء !!

هناك قلبك يتأثر فورا باتجاهك !!

إذا آمنت .. إذا اتجهت إلى ربك خرج قلبك من الظلمات إلى النور فورا ..

وإذا كفرت .. إذا اتجهت إلى شىء سواه .. خرج قلبك من النور إلى الظلمات فوراً !!

وعلى قدر ثباتك فى مقامات النور .. تزداد نوراً ..

وعلى قدر ثباتك فى دركات الظلام .. تزداد ظلاماً ..

أوتوماتيكية الجزاء !!

وذلك ناموس واحد .. من نواميس عديدة .. تسرى .. وتجرى فينا .. ونحن لا نشعر !!

فليس الأمر فوضى .. كما يظن الذين أوتوا الجهل ..

وإنما هو « الله » الذى اتقن كل شىء خلقه !!

أرقى أساليب .. الاتجاه إلى الله ؟ !

سؤال عجيب .. وأعجب منه : هل يمكن الإجابة عليه ؟

أما السؤال فهو : ما هو أرقى ، وأعلى ، أساليب الاتجاه إلى الله ؟

أو : ما هو أسرع الطرق إلى الله ؟

أو : ما هو أحسن أسلوب فى السلوك إلى الله ؟

الجواب .. يتولاه الله تعالى .. فهو لذلك أعلى وأحكم وأشمل وأكمل جواب !!

فاستمع إليه تعالى وهو يقول :

« وَمَنْ أحسنُ ديناً ، ممن أسلمَ وجهَهُ للهِ ، وهو مُحسنٌ ، واتبعَ مِلة إبراهيم ، حنيفاً ، واتخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً » .

[النساء ١٢٥]

« ومن أحسن ديناً » أى لا أحدَ أحسن ديناً ممن هذا شأنه .

من هو هذا الذى هو أحسن الناس ديناً ؟

من هذا الذى هو أرقى الناس أسلوباً فى التوجه إلى الله ؟

« ممن أسلم وجهه لله » ممن أسلم قلبه لله ..

ممن اتجه بقلبه إلى الله رأساً ..

« وهو محسن » وهو آت للاحسان فى الأقوال والأفعال ..

وهو دائماً يريد وجه الله تعالى بأقواله وأفعاله ..

ولـكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

السبيل هو هذا .. هو ..

«واتبع ملة إبراهيم» واتبع فى توجهه إلى ربه .. ملة إبراهيم .. أسلوب إبراهيم .. فى التوجه إليه تعالى .. الذى هو أسلوب الأنبياء جميعاً ..

ولـكن ما هى ملة إبراهيم هذه ؟ .

هى ؟

« حنيفاً » مائلا عن جميع الأديان البـاطلة .. وعن جميع الانحرافات ..

فما معنى « حنيفاً » إذا ؟ !

أى : متجهاً إلى الله مباشرة ..

هذه هى الحنيفية فى جوهرها ..

هى الاتجاه إلى الله مباشرة .. إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ..

هى اتجاه القلب إلى الله مباشرة ..

وهذه هى ملة إبراهيم ... وملة سائر المرسلين .. وفطرة الله التى فطر الناس عليها ..

بل هى الفطرة التى فطر جميع الخلائق عليها !!

الحيوان .. الطير .. الكائنات جميعاً كلها تتجه إلى ربها مباشرة.

فإن هتف هاتف : وما الدليل ؟

قلنا : الدليل قوله تعالى :

« يَسألُـه مَن فى السماواتِ والأرضِ كلَّ يومٍ هو فى شأن » .

[الرحمن ٢٩]

كل شىء يسأله سبحانه . بلسان الحال .. أو بلسان المقال ..

كل شىء يتجه إليه مباشرة ..

وهذه هى الحنيفية فى حقيقتها ..

فما هى المـكافأة التى يمنحها الله تعالى لمن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ؟

هى « واتخذ الله إبراهيم خليلا » !!

اتخذ الله إبراهيم خليلا .. أى : أحبه حباً .. لأنه كان يتجه إليه مباشرة ..

منح إبراهيم .. مقام الخلة .. ورفعه إليه .. لأن قلبه كان فى القمة من سلامة القلوب « إذ جاء ربه بقلب سليم »

وكل إنسان .. كل قلب .. يتجه إلى الله .. مباشرة ..

وهو محسن ..

فهو على وعد حق من ربه •• أن يحبه •• ويكرمه •• ويعطيه •• والامداد على قدر الاستعداد ••

ذلك هو الجواب الخالد •• للسؤال الخالد !!

وذلك كله •• ذرة •• من قطرة •• من شعاع •• اشعاعات •• أنوار •• أغوار •• آية الكرسى ••

أما الآية •• فلا أستطيع أن أقول فيها شيئاً ••

لأنها وراء عقلى •• وفوق إدراكى !!!

تم بحمد الله

فهرس

صفحة

ماذا في هذا الكتاب ؟

فيه عين جارية ... بالنور سارية ...

« لا تسمع فيها لاغية » ..

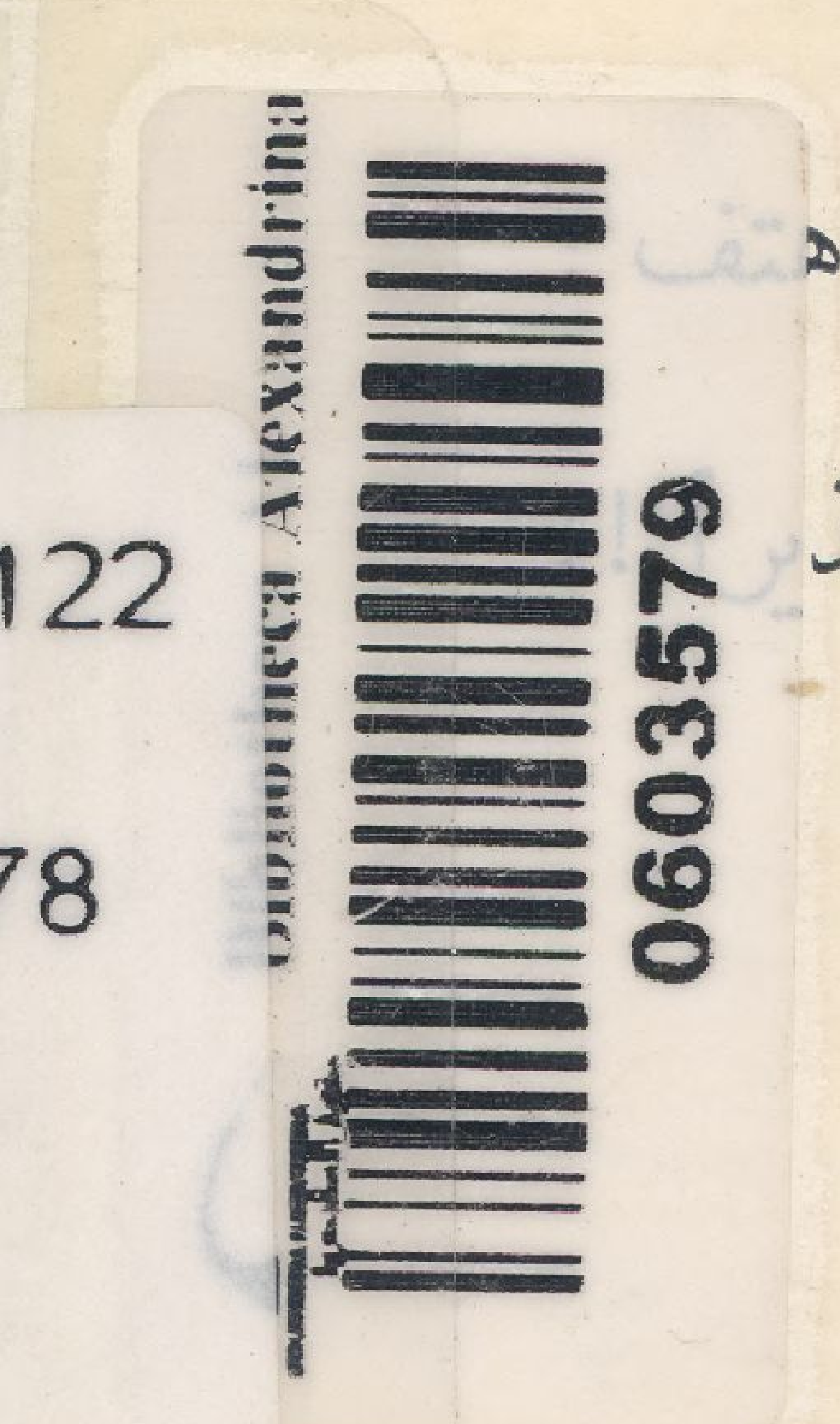
فيه تفسير الآية ... التي هي أعظم آية ... في كتاب الله العظيم !

فيه الرد على ذلك السؤال العجيب :

لماذا كانت آية الكرسي أعظم آي القرآن ؟

اقرأ غرائبها ... وتأمل عجائبها ... ثم هـ

تبارك الذين نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذ



دار المعرفة

ص. ب. ٥٧٦٩

بيروت ـ لبنان

الثمن : ٢٠٠ ق. ل. او ما يعادلها